

قواعد صياغة الإنسان المتحضر عند ابن خلدون من خلال المقدمة

د.رقية بوسنان

جامعة الأمير عبد القادر

للعلوم الإسلامية

مقدمة:

تعد الكتابة والحفر في أفكار المفكرين المسلمين من الأهمية بمكان، فهي بمثابة الإضاءات التي تنير عقول الأفراد وترشدتهم إلى المسالك الصحيحة من أجل حياة أفضل، وهي بمثابة الصخور كمواضع أولية لأي بناء مادي يجتمع فيه الأفراد لإدارة شؤون حياتهم، تعالج هذه الأفكار في مجملها كل المواضيع والمشكلات التي تحيط بالأفراد منعزلين أو مجتمعين، ومن أهم المواضيع التي شغلت أقلام هؤلاء المفكرين، موضوع الإنسان، التي يعد أساس بناء المجتمعات والحضارات، إن لم أقل هو المجتمع أو الحضارة نفسيهما، فالإنسان كمصطلح إذا أطلق أريد به الكثير من المفاهيم ذات الدلالات العميقة.

ومن أهم المفكرين الذين حاولوا تجلية مفهوم الإنسان وخصائصه ومقومات بنائه، العلامة ابن خلدون، الذي تعد مقدمته، كنزا معرفيا يمكن اكتشافه بعد قراءة عميقة وواعية، فجاء هذا البحث المتواضع لتجلية أهم جانب أو مكون من مكونات الكون والحضارة وهو الإنسان وقد تم معالجة هذا البحث وفقا لمحاور مختلفة.

وضعت في البداية إطاراً منهجياً للبحث، شمل الإشكالية، وأهمية البحث، وأهدافه ومنهجه، ثم تناولت مفهوم الإنسان عند ابن خلدون، والذي وسع مفهومه وفق لخصائص يتصف بها وهي خصائص كثيرة، ووفقاً للوظائف المنوطة به وهي كثيرة أيضاً، كما تناولت قواعد صياغة تحضيره، والتي حصرت في المجال السياسي، والاقتصادي، والاجتماعي، والمدني، وتم توضيح القيم المرتبطة بهذه القواعد وهي معظمها قيم مادية ومعنوية أساسها تحديد السلوك والصفات التي ينبغي أن يتحلى بها الإنسان المتحضر، وفي المحور الأخير تم تحديد الإسناد المعرفي الذي اعتمد عليه ابن خلدون في التأسيس لمفهوم الإنسان وقواعد تحضيره.

أولاً: الإشكالية

يوحي عنوان الورقة أن الإنسان أساس للبناء والفاعلية الحضاريين، وهو المحور الأساسي التي تتناوله الدراسات الاجتماعية والثقافية والسياسية، باعتباره الفاعل والمفعول به، والفعل حركة مستمرة تنبع من خصوصيات ومكونات هذا الإنسان المادية والمعنوية، والقيمية، والحديث عن هذا الإنسان وقواعد تحضيره عند ابن خلدون تحديداً، سيعطي للورقة جاذبية علمية ومعرفية نظير شخصية ابن خلدون كمفكر أبدع في تأليفه أيما إبداع، فتعددت مجالات فكره، لتشمل التربية، والأخلاق، والسياسة، والمجتمع، والاقتصاد، والعمران، ولعل كتاب "المقدمة" المشهور والذي شد إليه العديد من الأقلام في مشرق الأرض ومغربها، واحتضنته الجامعات الغربية لمدراسته والاستفادة من ذرره ما يساعد في البحث عن هذه القواعد.

إن البحث عن قواعد صياغة الإنسان المتحضر عند ابن خلدون، لن تكون من باب الترف العلمي، إنما سيكون ذلك وفق منهج ينطلق من مقدمات ليصل إلى نتائج، ولعل في توظيف منهج الاستقراء، ما يساعد على استخراج هذه

القواعد المهمة وقيمها المرتبطة بها، والتي قد تضيف أهمية معرفية للبحوث المختلفة عن ابن خلدون وفكره الخصب ذي البعد الاستشراقي.

إن توضيح واستقراء قواعد صياغة الإنسان المتحضر من خلال المقدمة، إنما هو إسهام في ضرورة تجليتها وتنزيلها للواقع للمساهمة في حل مشاكله، إقليمياً، دولياً، أممياً، وحضارياً، وهي قواعد تختلف باختلاف المجال التي تنتمي إليه، وعليه جاء التساؤل الرئيسي كالاتي: ما هي قواعد صياغة الإنسان المتحضر عند ابن خلدون؟ ومن هذا التساؤل الرئيسي تفرعت الأسئلة الآتية:

- ما مفهوم الإنسان عند ابن خلدون؟
- ما هي أسس بناء الإنسان المتحضر؟
- ما هي القيم المادية والمعنوية المرتبطة بالقواعد؟
- ما هو الإسناد المعرفي لابن خلدون في تناوله للإنسان؟

ثانياً: أهمية البحث:

تنبع أهمية هذا البحث من كونها تنطلق من مفاهيم ودلالات هامة كالاتي:

— مفهوم الإنسان ودلالاته الذي يعد مجالاً خصباً لأبحاث كمية ونوعية تحاول إبراز دوره في النسق الاجتماعي والحضاري.

— الانحراف السلوكي الذي يمارسه هذا الإنسان والذي يسود المجتمعات الإسلامية من جوانب عديدة تكاد تشل منظومة القيم لابتعاده عن رسالته الأساسية وهي البناء والأعمار وفق الرؤية القرآنية.

— أهمية الإنسان ودوره في البناء الاجتماعي والحضاري باعتباره الخليفة والمكلف بالإعمار وفقاً لسبل الخير.

قواعد صياغة الإنسان المتحضر عند ابن خلدون من خلال المقدمة.....د.رقية بوسنان

ـ ضرورة وضع القواعد الأساسية والشروط العلمية والعملية لإعادة صياغة الإنسان وفقا للرؤية الاسلامية التي تسع كل الرؤى الإيجابية لترشيد سلوك الإنسان ومنطلقات فاعليته الحضارية.

ـ أهمية فكر ابن خلدون الذي يستشرف في ثنياه واقع الإنسان في المجالات المختلفة السياسية والاقتصادية والثقافية، وإبراز هذا الفكر الهادئ والمتزن في هذا المجال الهام.

ثالثا: أهداف البحث:

توخيت من خلال هذا البحث تحقيق الأهداف الآتية:

- تعريف الإنسان عند ابن خلدون وخصائصه
- تحديد اهم قواعد صياغة الإنسان المتحضر
- تحديد بعض القيم المتعلقة بصياغة الإنسان المتحضر.
- توضيح الإسناد المعرفي لابن خلدون في مرلفه.

رابعا: منهج البحث

تعتمد الباحثة في هذه الورقة المنهج الاستقرائي، والاستقراء هو عملية استدلال صاعد يرتقي فيه الباحث من الحالات الجزئية إلى القواعد العامة، أي انتقال من الجزئيات إلى حكم عام، ولذلك تعتبر نتائج الاستقراء أعم من مقدماته، ويتحقق الاستقراء من خلال الملاحظة والتجربة ومختلف تقنيات البحث المتبعة.

والاستقراء له دلالات عدة فهو عند المنطقيين يعني الحكم على كلي بما يوجد في جزئياته الكثيرة، ويعرفه الإمام الغزالي بقوله "هو أنه تتصفح جزئيات كثيرة داخله تحت معنى كلي، حتى إذا وجدت حكما في تلك الجزئيات حكم

قواعد صياغة الإنسان المتحضر عند ابن خلدون من خلال المقدمة.....د.رقية بوسنان

على ذلك الكلي به " ، ويعرفه الدكتور عبد الرحمن بدوي بقوله: " تعميم من حالات جزئية تتصف بصفة مشتركة " وينقسم الاستقراء إلى ناقص وتام: أما الأول فهو انتقال الذهن من الحكم على الجزئيات إلى الحكم على الكلي. وهو استدلال معرض للاختلال لاحتمال سقوطه بعدم استقراء جزئية واحدة. وأما التام فهو انتقال الذهن من الحكم على جميع الجزئيات إلى الحكم على كليها. وتمر الباحثة في أعمالها للمنهج الاستقرائي من مراحل بحثية:

—قراءة كل الجزئيات المتعلقة بالإنسان والتي ورد في سياقات مختلفة في أجزاء من المقدمة.

—تصنيف هذه القراءة إلى محاور رئيسة وفقا للأسئلة التي وضعتها ضمن الاشكالية.

—إدراج كل الجزئيات الخاصة بموضوع البحث تحت هذه المحاور الرئيسية وتحليلها.

—صياغة رؤية متكاملة حول الإنسان وقواعد تحضره

المحور الأول: الإنسان عند ابن خلدون

تتكامل الرؤية الخلدونية لمفهوم الإنسان وما يتعلق به، فهي تنطلق من الرؤية القرآنية لخلقه، كما تنطلق من نظريات علمية مفسرة لهذا الإنسان، من حيث خصائصه التي يتصف بها ، فهو يصف الإنسان بأنه خليفة الله في أرضه وما يجب القيام به بمقتضى هذا الاستخلاف، كما يصفه بأنه إنسان عاقل ومفكر، له إدراك وإرادة يتحقق بهما الاجتماع والتعاون، وتساهم سيرة ابن خلدون ومسيرته في تنظيره لمفهوم الإنسان، فجل المؤلفات* تتفق على ان ابن خلدون

* من هذه المؤلفات: محمد فاروق النبهان، الفكر الخلدوني من خلال المقدمة، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1998، الجيلاني بن التهامي مفتاح، فلسفة الإنسان عند ابن خلدون،

كان مشاركا في أحداث عصره إما بالممارسة والمشاركة أو الكتابة التأليف بالإضافة إلى كتاب المقدمة الذي ينقل تجربته العلمية والعملية وعليه فإن مفهوم ابن خلدون ينطلق في تعريفه للإنسان من عدة مسلمات هي كالآتي:

1- خلق الإنسان لتحقيق مهمة الاستخلاف انطلاقا من الوظائف التي يمكن أن يتقلدها، وإذ يركز ابن خلدون على وظيفة الرئاسة، باعتبارها وظيفة مهمة وحساسة فيقول: "الإنسان رئيس بطبعه بمقتضى الاستخلاف الذي خلق له"¹، فإن ما يعني هنا هو مهمة الاستخلاف وهي الأصل الذي خلق منه الإنسان، يقول الله تعالى: "وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً" (البقرة:30)، والخلافة تقتضي مؤهلات علمية وعملية تتوجهها المسالك الصحيحة التي يسلكها هذا الإنسان.

2- يتميز الإنسان عن سائر المخلوقات بالفكر، وهو محل المفاضلة، ويعني إعمال النظر في الموجودات، وتسخيرها له من أجل الاستقرار وتحقيق الوجود، يترتب على هذا التسخير السعي والعمل في مختلف المجالات، الاقتصادية والثقافية والسياسية وفي البيئات المتنوعة وفق معادلة البذل والأخذ، وبها يتحقق التعاون الذي هو أساسي في توفير الغذاء والسكن والتعاش، وعمل الفكر الإيجابي لا يتحقق إلا باتباع الطريق المستقيم وهو طريق الرسل والأنبياء.

يقول: "وذلك أن الإنسان قد شاركته جميع الحيوانات في حيوانيته من الحس والحركة والغذاء وغير ذلك وإنما يتميز عنها بالفكر الذي يهتدي به لتحصيل معاشه والتعاون عليه بإبناء جنسه والاجتماع المهيئ لذلك التعاون

الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيان دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2011، عبد الواحد وافي، عبد الرحمن ابن خلدون، حياته وآثاره ومظاهر عبقريته، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، الجمهورية العربية المتحدة، مكتبة مصر، دت.

¹ ابن خلدون، المقدمة ، الفصل الرابع والعشرون في أن الأمة إذا غلبت وصارت في ملك غيرها أسرع إليها الفناء ، دار الجيل، بيروت، ج1، ص136.

وقبول ما جاءت به الانبياء عن الله تعالى والعمل بهو اتباع صلاح اخراه فهو مفكر في ذلك كله دائما لا يفتر عن الفكر فيه طرفة عين بل اختلاج الفكر اسرع من لمح البصر وعن هذا الفكر تنشأ العلوم وما قدمناه من الصنائع".¹

3- العلم صفة أصيلة في الإنسان باعتباره مفكرا يقول ابن خلدون: "و أما العلوم العقلية التي هي طبيعية للإنسان من حيث إنه ذو فكر فهي غير مختصة بملة بل بوجه النظر فيها إلى أهل الملل كلهم ويستوون في مداركها ومباحثها. وهي موجودة في النوع الإنساني منذ كان عمران الخليفة. وتسمى هذه العلوم علوم الفلسفة والحكمة".²

4- يتميز الإنسان بالإدراك والإرادة، فالإدراك وهو العملية التي تتم بها معرفة العالم الخارجي والتعرف على الإحساسات وإعطائها معنى، ويشمل العالم الخارجي مختلف العوالم المادية والمعنوية، وأما الإرادة فتعني العزيمة والتصميم على الاختيار بعد المفاضلة بين عدة بدائل، والتحكم في العقل والجسد من أجل عمل ما يشاء الفرد، حتى ولو كان صعباً بدون أن يجبره أحد على ذلك، وهذا العمل قد يكون في صورة حركة بدنية أو عمليات عقلية أو منع سلوك معين من الصدور..... وقد ارتبط مفهوم الإرادة بالرغبة والحاجة والسعادة، وكلا الميزتين تعبران عن الروح العاقلة والمتصرفة.

يقول: "و ذلك أن الإنسان بما هو إنسان إنما يتميز عن سائر الحيوان بالإدراك وإدراكه نوعان: إدراك للعلوم والمعارف من اليقين والفن والشك والوهم وإدراك للأحوال القائمة من الفرح والحزن والقبض والبسط والرضى والغضب والصبر والشكر وأمثال ذلك، فالروح العاقل والمتصرف في البدن تنشأ

¹ الفصل الاول في ان العلم والتعليم طبيعي في العمران البشري، ص 476.

² الفصل التاسع عشر: في العلوم العقلية وأصنافها، ص 529.

من إدراكات وإرادات وأحوال وهي التي يميز بها الإنسان، وبعضها ينشأ من بعض كما ينشأ العلم من الأدلة والفرح والحزن عن إدراك المؤلم أو المتلذذ به والنشاط عن الحمام والكسل عن الإعياء"¹.

5- لا يستطيع الإنسان أن يعيش بمفرده، فالاجتماع ضرورة تقتضيها طبيعة الإنسان، وتركيبه النفسي والبيولوجي، فهو يحتاج إلى نظرائه لتحقيق الضرورات من العيش وهو الغذاء والاجتماع فطرة في الإنسان مجبول عليها ولا حياة له من دونها. يقول: "ويعبر الحكماء عن هذا بقولهم الإنسان مدني بالطبع أي لا بد له من الاجتماع الذي هو المدينة في اصطلاحهم وهو معنى العمران وبيانه أن الله سبحانه خلق الإنسان وركبه على صورة لا يصح حياتها وبقاؤها إلا بالغذاء وهداه إلى التماسه بفطرته وبما ركب فيه من القدرة على تحصيله"².

6- يعتبر الإنسان ابن بيئته التي يكتسب منها السلوكات المختلفة وهو ما تشير إليه النظريات المفسرة لتنشئته³، وتكوين شخصيته، وقد نستدل على ذلك بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم: "مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ"⁴، يقول: "وأصله أن الإنسان ابن عوائده ومألوفه لا ابن طبيعته ومزاجه فالذي ألفه في الأحوال حتى صار خلقاً وملكة

¹ الفصل الحادي عشر: في علم التصوف ، ص 518.

² المقدمة، الفصل الأول من الكتاب الأول في العمران البشري على الجملة وفيه مقدمات، ص 46.

* هذه النظريات هي: نظرية التحليل النفسي، النظرية السلوكية، النظرية المعرفية،³ محمد الشناوي وآخرون، التنشئة الاجتماعية للطفل، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، 2001، ص 198، 199، واقترحت الباحثة ما يسمى بالتصور الاسلامي، اجتهدت الباحثة في وضع تصور لهذه النظرية، انطلاقاً من أبعاد النظريات المفسرة لاكتساب القيم ويمكن مراجعتها وتصويبها.⁴ الراوي: أبو هريرة المحدث: البخاري -المصدر: صحيح البخاري - الصفحة أو الرقم 135 ، درجة الحديث، صحيح.

وعادة تنزل منزلة الطبيعة والجبلية واعتبر ذلك في الآدميين تجده كثيراً صحيحاً¹.

7- يتميز الإنسان بمراحل نمو متناهية الدقة تبدأ من طور النطفة إلى العلقة فالمضغة فالتصوير فالجنين فالولادة فالرضيع فالطفل فالشباب إلى نهاية موته، وكل مرحلة لها تراكيب مختلفة عن سابقتها، يميزه الضعف والقوة، وتقر علوم الإنسان المختلفة بهذا التطور الدقيق الذي تعجز عن تكوينه المصانع المتخصصة في تصنيع المواد والآلات المختلفة.

ويقول في معرض تفسيره لمراحل النمو: "وانظر شأن الإنسان في طور النطفة ثم العلقة ثم المضغة ثم التصوير ثم الجنين ثم المولود ثم الرضيع ثم إلى نهايته. ونسب الأجزاء في كل طور تختلف في مقاديرها وكيفياتها وإلا لكان الطور الأول بعينه هو الآخر وكذا الحرارة الغريزية في كل طور مخالفة لها في الطور الآخر... فلا بد من تصور هذه الحالات للذهب في أحواله المتعددة ونسبها المتفاوتة في كل طور... وهذه المادة إنما يحصرها العلم المحيط والعلوم البشرية قاصرة عن ذلك وإنما حال من يدعي حصوله على الذهب بهذه الصنعة بمثابة من يدعي بالصنعة تخليق إنسان من المنى، ونحن إذا سلمنا له الإحاطة بأجزائه ونسبته وأطواره وكيفية تخليقه في رحمه وعلم ذلك علماً محصلاً بتفاصيله حتى لا يشذ منه شيء عن علمه سلمنا له تخليق هذا الإنسان وأنى له ذلك"².

8- الإنسان خير بطبعه والخيرية قيمة أساسية للقيادة: هذه الميزة التي يتصف بها الإنسان هي نتاج ميزات أخرى كالفكر والإدراك التي سبق الإشارة إليها، والتي تميزه عن الحيوان الذي يخضع لقانون الغاب، فالبقاء فيه للأقوى،

¹ الفصل الخامس في أن أهل البدو أقرب إلى الشجاعة من أهل الحضرة، ص 138.

² الفصل الثالث والثلاثون: في انكار ثمره الكيمياء واستحالة وجودها وما ينشأ من المفاسد عن انتحالها، ص 583، 584.

بينما هو في عالم الإنسان إنما هي قيمة مساعدة للقيادة الرشيدة وتحقيق المنافع للعشيرة والدولة وتطبيق قانون العدل، ووجود الخير في الإنسان من غير أن تحصل منفعه إنما هو جهل به أو تجاهل نحو أهميته الاجتماعية.

يقول: "ما كان الملك طبيعياً للإنسان لما فيه من طبيعة الاجتماع كما قلناه وكان الإنسان أقرب إلى خلال الخير من خلال الشر بأصل فطرته وقوته الناطقة العاقلة لأن الشر إنما جاءه من قبل القوى الحيوانية التي فيه وإما من حيث هو إنسان فهو إلى الخير وخلاله أقرب والملك والسياسة إنما كانا له من حيث هو إنسان لأنهما للإنسان خاصة لا للحيوان فإذا خلال الخير فيه هي التي تناسب السياسة والملك إذ الخير هو المناسب للسياسة وقد ذكرنا أن المجد له أصل يبنى عليه وتحقق به حقيقته وهو العصبية والعشير وفرع يتم وجوده ويكمّله وهو خلال وإذا كان الملك غاية للعصبية فهو غاية لفروعها ومتمماتها وهي خلال لأن وجوده دون متمماته كوجود شخص مقطوع الأعضاء"¹.

المحور الثاني: قواعد صياغة الإنسان المتحضر.

هي مجموعة الأسس والأصول التي تساهم في بناء الإنسان الفاعل اجتماعياً وحضارياً حتى يؤدي وظيفة عمارة الأرض والاستخلاف من غير الإخلال بالوظيفة المسندة إليه، لكن حال العمران والمجتمعات يوحي بأن هناك فساداً في البر والبحر ومشاكل حقيقة ومتستعصية تنتشر بشكل ملفت ومريب، فسفك الدماء صارت لغة قائمة بذاتها، والعنف والجريمة يتصدران الأعمال المرفوضة شرعاً وعقلاً وقانوناً، والفقر والجهل يستحوذ على طبقات هائلة من العالم، والظلم والاستبداد والقهر صور جليلة في مختلف المجتمعات، وكلها

¹ الفصل العشرون، في أن من علامات الملك التنافس في خلال الحميدة وبالعكس، ص 157.

قواعد صياغة الإنسان المتحضر عند ابن خلدون من خلال المقدمة.....د.رقية بوسنان

مظاهر تعبر عن ثقافة الإنسان المنتشر عبر الزمان والمكان، فاختلفت بذلك وظائفه على مستويات عدة، ذاتية واجتماعية وسياسية وثقافية، وحضارية.

وحال الاختلال على مستوى المجتمعات والحضارات ليس بالشيء الجديد، وقد حاول الكثير من الباحثين والمفكرين توضيح أوجهه وعوامل ذلك، فكتبوا عن دور الإنسان وحضوره في المشكلات المختلفة، وطرحت بذلك مجموع كتابات مختلفة وإن لم تكن مصنفة أو متخصصة للكتابة عن هذا الدور، وعن خصوصيات هذا الإنسان ومدى إسهامه إيجابيا في تطوير وتحضير المجتمعات.

ولتوضيح ذلك كان التعامل مع مقدمة ابن خلدون ضرورة علمية لتحديد القواعد التي تصنع أو تبني الإنسان الفاعل والمتحضر لتلافي المشاكل المتعددة في المجتمعات المعاصرة، وقد تم توظيف المعاني التي وردت في سياقات تناول الإنسان وتعريفه وظيفيا واجتماعيا، فشملت القواعد: الإنسان الحاكم باعتباره الأساس في إدارة المجتمعات والقيام عليها، ثم الإنسان كفرد له خصائص مختلفة وجب عليه أن يتحلى بهذه القواعد باعتباره مشارك وأساسي في البناء الحضاري، وهذه القواعد هي:

1- ضرورة التكامل العملي في إطار المجتمع

والمقصود من ذلك أن يقوم كل إنسان بعمل مقدور عليه يتكامل مع الأعمال الأخرى، والأعمال أو الصنائع كثيرة، كالزراعة والصناعة والتجارة، والطب والتعليم، فلا يستطيع الإنسان في كل حال من الأحوال أن يقوم بمجموع هذه الصنائع بمفرده، فكل صناعة تتطلب الإتيان والإنجاز، يقول: "وبيانه أن الله سبحانه خلق الإنسان وركبه على صورة لا يصح حياتها وبقاؤها إلا بالغذاء وهداه إلى التماسه بفطرته وبما ركب فيه من القدرة على تحصيله إلا أن قدرة الواحد من البشر قاصرة عن تحصيل حاجته من ذلك الغذاء غير موفية له بمادة

حياته منه ولو فرضنا منه أقل ما يمكن فرصة وهو قوت يوم من الحنطة مثلاً فلا يحصل إلا بعلاج كثير من الطحن والعجن والطبخ وكل واحد من هذه الأعمال الثلاثة يحتاج إلى مواعين وآلات لا تتم إلا بصناعات متعددة من حداد ونجار وفاخوري وهب أنه يأكله حباً من غير علاج فهو أيضاً يحتاج في تحصيله أيضاً حباً إلى أعمال أخرى أكثر من هذه من الزراعة والحصاد والدراس الذي يخرج الحب من غلاف السنبل ويحتاج كل واحد من هذه آلات متعددة وصنائع كثيرة أكثر من الأولى بكثير ويستحيل أن تفي بذلك كله أو ببعضه قدرة الواحد فلا بد من اجتماع القدر الكثيرة من إبناء جنسه ليحصل القوت له ولهم فيحصل بالتعاون قدر الكفاية من الحاجة لأكثر منهم بإضعاف"¹.

2 - الانضباط بمقتضى الوازع القانوني:

وهو الوازع التي توفره السلطة الحاكمة للمجتمع حتى تحافظ على استقراره، من تشريع للقوانين وتنظيم للمؤسسات التشريعية والتنفيذية والقضائية، تنظيمًا صارماً يكون فيه الرجل المناسب في المكان المناسب، وإذا تم بهذه الطريقة السليمة فلن يكون هناك مجال للعبث باستقرار الفرد والمجتمع، أما إذا اختلف التنظيم وغاب القانون الضابط، والرؤية المنطقية والمنهجية في العمل المؤسساتي، فالنتيجة هي استحكام الفساد واستشرائه، وهذا ما يشيع في وقتنا الحالي، وحتى نتجنب ذلك فعلى الإنسان أن يتقيد بهذا الوازع لحماية نفسه وحماية المجتمع من الانحرافات والسلوكات السلبية يقول: "ثم إن هذا الاجتماع إذا حصل للبشر كما قرناه وتم عمران العالم بهم فلا بد من وازع يدفع بعضهم عن بعض لما في طباعهم الحيوانية من العدوان والظلم... فيكون ذلك الوازع واحداً منهم يكون له عليهم الغلبة والسلطان واليد القاهرة حتى لا

¹ المقدمة، ص 46.

يصل أحد إلى غيره بعدوان وهذا هو معنى الملك... وقد تبين بهذا أن للإنسان خاصة طبيعية فهو ينقاد لرئيسه بمقتضى الفكرة والسياسة"¹.

3 - الانضباط بمقتضى الوازع الديني.

يعتبر الدين أهم وأقوى وسيلة من وسائل الضبط، من خلال ما يقوم به من وظائف في حياة الفرد والمجتمع واستقرار النظم الاجتماعية، وهو يضبط سلوك الأفراد في المجتمع بالثواب والعقاب في الحياة وفي الآخرة، ويرز أثر الدين وبالذات الدين الإسلامي كأداة ضبط فيما يشتمل عليه من تعاليم تمثل في مجملها مجموعة من الضوابط تظهر في العبادات المتعلقة في العلاقة بين العبد وخالقه سبحانه وتعالى، وفي المعاملات التي تعكس العلاقة بين الأفراد².

ومن الدعائم التي يعتبرها (الماوردي) ضرورة للضبط الاجتماعي ستة أمور هي: "دين متبع وسلطان قاهر وعدل شامل وأمن عام وخصب دائم وأمل فسيح"³، والإرتقاء بالإنسان إلى مصف الإنسانية المكتملة والكمال لله، يحتاج إلى انضباط اخلاقي داخل المجتمع، هذا الانضباط ينبع من الوازع الديني أو الضمير وهما آليتان لتحضير الإنسان وجعله فاعلا إيجابيا حيث تواجد، وهما آليتان لحفظ التوازن السلوكي له داخل الجماعة مما يدفع بالسلوكات السلبية إلى التراجع والاندثار، كالجريمة بانواعها والعنف بانواعه.

"وقد أدرك ابن خلدون الدور الذي يؤديه الدين في عملية الضبط الاجتماعي. لكونه يمارس نوعا من الرقابة على سلوك الناس، وتمتد هذه الرقابة في السر والعلن، وهذا ما يميز الدين عن القانون، فالفرد يمثل للمعايير التي

¹ المقدمة ص، 47، 48.

² سلوى علي سليم، الاسلام والضبط الاجتماعي، مكتبة وهبه، الطبعة الاولى، 1985، ص 61.

³ موسى ابو حوسه، قواعد الضبط الاجتماعي عند الماوردي، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت، العدد 17، المجلد 5، 1985، ص 48.

يفرضها الدين والتي تحدد الثواب والعقاب لجميع الأفعال والتصرفات التي يؤديها أو يمتنع عنها"¹.

يقول ابن خلدون: "و لا تستنكر ذلك بما وقع في الصحابة من أخذهم بأحكام الدين والشرعة ولم ينقص ذلك من بأسهم بل كانوا أشد الناس بأساً لأن الشارع صلوات الله عليه لما أخذ المسلمون عنه دينهم كان وازعهم فيه من أنفسهم لما تلي عليهم من الترغيب والترهيب ولم يكن بتعليم صناعي ولا تأديب تعليمي إنما هي أحكام الذين وآدابه المتلقاة نقلاً يأخذون أنفسهم بها بما رسخ فيهم من عقائد الإيمان والتصديق فلم تزل سورة بأسهم مستحكمة كما كانت ولم تخذشها أظفار التأديب والحكم قال عمر رضي الله عنه (من لم يؤدبه الشرع لا أدبه الله) حرصاً على أن يكون الوازع لكل أحد من نفسه و يقيناً بأن الشارع أعلم بمصالح العباد ولما تناقص الدين في الناس وأخذوا بالأحكام الوازعة ثم صار الشرع علماً وصناعة يؤخذ بالتعليم والتأديب ورجع الناس إلى الحضارة وخلق الانقياد إلى الأحكام نقصت يذلك سورة البأس فيهم فقد تبين أن الأحكام السلطانية والتعليمية مفسدة للبأس لأن الوازع فيها ذاتي ولهذا كانت هذه الأحكام السلطانية والتعليم مما تؤثر في أهل الحواضر في ضعف نفوسهم وحضد الشوكة منهم بمعاناتهم في وليدهم وكهولهم"².

4- الابتعاد عن التغني بالنسب والانتماء القبلي.

هذا الاعتقاد ساد ويسود في مختلف الأزمنة، فما يزال الإنسان يعتقد بل ويمارس هذا الاعتقاد، باعتبار أن الانتماء لنسب أو قبيلة أو أسرة عريقة ذات جاه

¹ خالد عبدالرحمن السالم، الضبط الاجتماعي والتماسك الأسري، الطبعة الأولى، 2000،

ص 82.

² الفصل السادس في أن معاناة أهل الحضر للأحكام مفسدة للبأس فيهم ذاهبة بالمنعة منهم ، ص 139.

وحسب، هو سبب المفاضلة والارتقاء في المجال الديني، وعليه تترتب إسناد المسؤوليات وتثبيت الولاءات، وخاصة الوظائف العليا في إدارة شؤون المجتمعات أو الدول، من غير مشاركة فاعلة له أو جهد واضح في مختلف المجالات، ولعلي ألحظ ذلك في بعض الدول التي يثبت حكامها النسب إلى رسول الله وتفاخر في ذلك، لكن حضورها الدولي والحضاري يكاد يكون عارضا بوجود قوى توجهها أو تتعاون معها وفقا للمصالح المشتركة، وينتشر في مجتمعاتها الظلم والقهر والممارسات الباطلة، فيخرج الناس للمطالبة بالعدل وتحسين ظروفهم الاجتماعية، وهي في ذلك بعيدة كل البعد عن نسب رسوله الله وسيرته العطرة، وقد ألحظ ذلك فيمن يرى أنه الأحق بالمسؤوليات العليا لأنه ينتمي إلى أسرة راعيها من أهل العلم أو الثروة أو الثورة، وهو مقصر بحق العلم وفضائله، وقد يكون مغتصبا للثروة، وهو غير مشارك في الثورة، وغيرها من المظاهر السلبية المختلفة التي تسود في المجتمعات المعاصرة والتي تبحر تحديدًا عن الإنسان الفاعل ولو من غير انتماء والذي يعي مشكلات عصره ويحاول قدر الطاقة أن يساهم في حلها بعيدا عن الانتماءات الضيقة وهوس النسب والشرف.

لقد ركز ابن خلدون على مسألة النسب والحسب، فجعلهما يتتبعان إلى الأب الرابع من الأنبياء وهو شأن خاص بالرسول صلى الله عليه وسلم، وهي لا تتأتى لأي إنسان، وأكد أن الانتماء والتفاخر به قد يقعد الإنسان عن مسؤوليته تكليفا لا تشريفا، وإن كان ابن خلدون يركز على مسؤولية الحكم فهو يرى فيه أعظم مسؤولية لأنه أساس بناء المجتمع والإنسان تحديدا، فيلمح بذلك أن اختيار الحاكم لا يكون بالانتماء فربما يفسده أو يجعله يتقاعس عن القيام بواجباته ولا يستطيع أحد بعد ذلك أن يحاسبه أو يعرضه للعقاب، يقول: "و الحسب من العوارض التي تعرض للأدبيين فهو كائن فاسد لا محالة وليس

يوجد لأحد من أهل الخليقة شرف متصل في آبائه من لدن آدم إليه إلا ما كان من ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم كرامة به وحيطة على السر فيه"

ويواصل في تصوير من يدعي النسب والذي يرى نفسه انه أحق بالمسؤولية التي يزعم انها ورثها عن نسبه، فيباشرها تقليدا لا اجتهدا من غير مراعاة من يحيطون به فينجر عن ذلك تركه والبحث عن من يحل محله وهكذا، فيقول: "و توهم أن ذلك البنيان لم يكن بمعاناة ولا تكلف وإنما هو أمر وجب لهم منذ أول النشأة بمجرد انتسابهم وليس بعصاة ولا بخلال لما يرى من التجلة بين الناس ولا يعلم كيف كان حدوثها ولا سببها ويتوهم أنه النسب فقط فربأ بنفسه عن أهل عصبته ويرى الفصل له عليهم وثوقاً بما ربي فيه من استتباعهم وجهلاً بما أوجب ذلك الاستتباع من الخلال التي منها التواضع لهم والأخذ بمجامع قلوبهم فيحتقرهم بذلك فينغصون عليه ويحتقرونه ويديلون منه سواه من أهل ذلك المنبت ومن فروعه في غير ذلك العقب للإذعان لعصبيتهم كما قلناه بعد الوثوق بما يرضونه من خلاله فتنمو فروع هذا وتذوي فروع الأول وينهدم بناء بيته هذا في الملوك وهكذا في بيوت القبائل والأمراء وأهل العصبية أجمع ثم في بيوت أهل الأمصار إذا تحطمت بيوت نشأت بيوت أخرى من ذلك النسب"¹.

5-التنازل لصالح تنظيم محكم تقوم عليه الحياة الكريمة

يعبر عنه ابن خلدون بالحكم الوازع، فالإنسان يحتاج آليا إلى من يسوسه وينظمه وهذه الحاجة ضرورة عصرية، تنتظم بها الحياة السياسة والاجتماعية والثقافية والاقتصادية التي تتطلب تنصيب جهاز رئاسي وحكومي يشرف عليها ومن شروطه الصرامة والعدل، وقد أحالت الشريعة إحداث هذا الجهاز للإنسان بحكم خصائصه العقلية منها والمادية، فاستحدثت المؤسسات التي تشرف عليه

¹ الفصل الخامس عشر في أن نهاية الحسب في العقب الواحد أربعة آباء ، ص 150، 151.

لتحفظ بقاءه وتتيح له الحياة الكريمة، والشرط أن يتقيد هذا الإنسان لهذا التنظيم عن وعي وبصيرة، وتقييد التنازل إنما للتنظيم المحكم القائم على أسس العدل والخير في جميع المجالات، أما أن يكون التنظيم مختلاً غير فاعل في شؤون الناس، فالتنازل في هذه الحالة يكون من باب المغامرة وعدم الوعي بالمعادلة السياسية والاجتماعية، وفحواها "تنظيم محكم تساوي بناء إنسان فاعل"، يقول ابن خلدون: "لما كان الإنسان متميزاً عن سائر الحيوانات بخواص اختص بها فمنها العلوم والصنائع التي هي نتيجة الفكر الذي تميز به عن الحيوانات وشرف بوصفه على المخلوقات ومنها الحاجة إلى الحكم الوازع والسلطان القاهر إذ لا يمكن وجوده دون ذلك من بين الحيوانات كلها إلا ما يقال عن النحل والجراد وهذه وأن كان لها مثل ذلك فبطريق إلهامي لا بفكر وروية"¹.

6 - ضرورة توفر القيادة الرشيدة.

يركيز ابن خلدون على ضرورة وجود القيادة الرشيدة، لأنها الأساس في تطور الإنسان ومعالجة قضايا ومشكلاته، وهي قيادة تقوم على الحق وتقوم به، والقائد يتميز على البشر بما هو مؤهل له ويتم اختياره من طرف الحكماء فهم أهل النظر والحكمة فيما اختصه الله لبشر دون آخر بالتسليم له والقبول، يقول: "و أنه لا بد للبشر من الحكم الوازع وذلك الحكم يكون بشرع مفروض من عند الله يأتي به واحد من البشر وأنه لا بد أن يكون متميزاً عنهم بما يودع الله فيه في خواص هدايته ليقع التسليم له والقبول منه حتى يتم الحكم فيهم وعليهم من غير إنكار ولا تزيف وهذه القضية للحكماء غير برهانية كما تراه إذ الوجود

¹ المقدمة الكتاب الأول في طبيعة العمران في الخليفة وما يعرض فيها من البدو والحضر والتغلب والكسب والمعاش والصنائع والعلوم ونحوها وما لذلك من العلل والأسباب، ص45.

وحياة البشر قد تتم من دون ذلك بما يفرضه الحاكم لنفسه أو بالعصبية التي يقتدر بها على قهرهم وحملهم على جادته ¹.

ويشترط ابن خلدون شرطا يراه أساسيا لتأهيل الإنسان للقيادة والحكم، وهو الرفق، وهو صفة وسلوك في آن واحد وقد وردت معانية في القرآن الكريم، كقوله تعالى: "فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ" (آل عمران:159)، كما ورد بإطلاقه لفظا في السنة النبوية كقوله صلى الله عليه وسلم: "يا عائشة، إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ، قُلْتُ: أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟ قَالَ: قُلْتُ وَعَلَيْكُمْ ²، وقوله: "إِنَّ الرَّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانُهُ" ³، هذه النصوص مما يؤكد على أهميته السياسية والاجتماعية والثقافية، فالرفق حيث ما توفر زانت به الأمور وارتقت وتطورت بخلاف العنف والقهر الذي يؤدي إلى انحراف في السلوك وامتهان الرذائل من الاعمال، واستخدام العنف لغة للتعبير كرد فعل.

والقيادة أو الحكم من غير سبيل الرشد، إذا ساست بالقوة واستخدمت أسلوب العنف، كان رد فعل الإنسان العنف المقابل وتعرضت أركان الدولة إلى الخراب وكثرت حركات الانقلاب وتربص الأعداء بالدولة وتمكنوا منها، يقول

¹ الباب الأول من الكتاب الأول في العمران البشري على الجملة وفيه مقدمات، ص 48.

² الراوي: عائشة أم المؤمنين المحدث: البخاري، المصدر: صحيح البخاري، الصفحة أو الرقم: 6927، درجة الحديث صحيح.

³ الراوي: عائشة أم المؤمنين المحدث: مسلم، المصدر: صحيح مسلم، الصفحة أو الرقم: 2594، درجة الحديث، صحيح.

إبن خلدون: "و يعود حسن الملكة إلى الرفق فإن الملك إذا كان قاهراً باطشاً بالعقوبات منقياً عن عورات الناس وتعدد ذنوبهم شملهم الخوف والذل ولاذوا منه بالكذب والمكر والخديعة فتخلقوا بها وفسدت بصائرهم وأخلاقهم وربما خذلوه في مواطن الحروب والمدافعات ففسدت الحماية بفساد النيات وربما أجمعوا على قتله لذلك ففسد الدولة ويخرب السياج وإن دام أمره عليهم وقهره فسدت العصبية لما قلناه أولاً وفسد السياج من أصله بالعجز عن الحماية وإذا كان رفيقاً بهم متجاوزاً عن سيئاتهم استناموا إليه ولاذوا به وأشربوا محبته واستماتوا دونه في محاربة أعدائه فاستقام الأمر من كل جانب وأما توابع حسن الملكة فهي النعمة عليهم والمدافعة عنهم فالمدافعة بها تتم حقيقة الملك وأما النعمة عليهم والإحسان لهم فمن حملة الرفق بهم والنظر لهم في معاشهم وهي أصل كبير من التحبب إلى الرعية"¹.

8- تطبيق الاحكام الشرعية في الحكم أساس البناء القوي

يرى إبن خلدون أنه من شروط الحكم وأهلية الحاكم لذلك، تطبيق الشريعة لتحقيق الخلافة والقيام على حماية الناس، فتراعى بذلك أسمى القواعد وهي جلب المنافع ودرء المفاسد، لأن أحكام البشر تعجز عن ذلك، وأن مخالفة أحكام الشريعة والانصراف عن تطبيقها سيؤدي حتماً إلى زوال الخير ومنه توقع زوال المجتمع، وأشار إلى أن تجريب الحلول الغربية في شكل أنظمة اشتراكية أو رأسمالية في الدول الغربية والإسلامية لم تحل لها مشكلاتها المجسدة في التخلف في جميع نواحيه، بل نجم عنها مجتمعات هجينة في اقتصادها وثقافتها وسياستها وهويتها، فلا هي ناشدت التطور المزعوم، ولا

¹ الفصل الرابع والعشرون في أن إرهاب الحد مضر بالملك ومفسد له في الأكثر، ص 209.

حمت نفسها من الغزو الوافد المخالف في القيم والعادات والتقاليد، يقول: "فالسياسة والملك هي كفالة للخلق وخلافة لله في العباد لتنفيذ أحكامه فيهم وأحكام الله في خلقه وعباده إنما هي بالخير ومراعاة المصالح كما تشهد به الشرائع، وأحكام البشر إنما هي من الجهل والشيطان بخلاف قدرة الله سبحانه وقدره فإنه فاعل للخير والشر معاً ومقدرهما إذ لا فاعل سواه فمن حصلت له العصبية الكفيلة بالقدرة وأونست منه خلال الخير المناسبة لتنفيذ أحكام الله في خلقه فقد تهيأ للخلافة في العباد وكفالة الخلق ووجدت فيه الصلاحية لذلك...و بالعكس من ذلك إذا تأذن الله بانقراض الملك من أمة حملتهم على ارتكاب المذمومات وانتحال الرذائل وسلوك طرقها فتفقد الفصائل السياسية منهم جملة ولا تزال في انتقاص إلى أن يخرج الملك من أيديهم ويتبدل به سواهم ليكون نعيماً عليهم في سلب ما كان الله قد أتاهاهم من الملك وجعل في أيديهم من الخير وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً واستقرئ ذلك وتتبعه في الأمم السابقة تجد كثيراً مما قلناه ورسمناه"¹

9-التسليم بالضعف غاية للاستعباد والخضوع

يرى ابن خلدون أن الإنسان متى استسلم للضعف وسلم بقوة الآخر، فقد الكثير من إنسانيته وقارب على الفناء، ويحدث ذلك في الملك كما يحدث في الأمم والبشر عموماً، هذا التسليم يفضي إلى حال من الاستعباد والإذلال، وما أشار إليه ابن خلدون إنما هو تنبيه للإنسان باعتباره حراً وأنه عبداً لله وحده، والإسلام ابطل العبودية والرق بأشكالهما المختلفة، لكن آفات النفس في الإنسان تجعله يستعبد أخاه الإنسان وتسخير له لخدمة مصالحه الشخصية، ومظاهره منتشرة في الحياة اليومية وهي تعبر عن مظاهر التخلف الفكري

¹ الفصل العشرون - في أن من علامات الملك التنافس في خلال الحميدة وبالعكس ، ص157-159.

وطغيان الأنانية واللهث وراء الملذات، وصفة الضعف لا تبني الإنسان الفاعل العارف بحقوقه وواجباته.

يقول: "و فيه والله أعلم سر آخر وهو أن الإنسان رئيس بطبعه بمقتضى الاستخلاف الذي خلق له والرئيس إذا غلب على رئاسته وكبح عن غاية عزه تكاسل حتى عن شبع بطنه وري كبده وهذا موجود في أخلاق الأناسي. ولقد يقال مثله في الحيوانات المفترسة وأنها لا تسافد إلا إذا كانت في ملكة الأدميين فلا يزال هذا القبيل المملوك عليه أمره في تناقص واضمحلال إلى أن يأخذهم الفناء والبقاء لله وحده... فملكة الإسلام في العدل ما علمت وإنما هي طبيعة في الإنسان إذا غلب على أمر وصار آلة لغيره ولهذا إنما تدعن للرق في الغالب أمم السودان لنقص الإنسانية فيهم وقربهم من عرض الحيوانات العجم كما قلناه أو من يرجو بانتظامه في ربة الرق حصول رتبة أو إفادة مال أو عز كما يقع لممالك الترك بالمشرق والعلوج من الجلالقة والإفرنجة فإن العادة جارية باستخلاص الدولة لهم فلا يأنفون من الرق لما يأملونه من الجاه والرتبة باصطفاء الدولة".¹

10- التعصب للحق فضيلة يقوم عليها المجتمع

يضع ابن خلدون قاعدة أخلاقية أساسية للتعامل الاجتماعي، فيرى أن الإنسان يتصف بصفات كثيرة منها الغضب المفضي للتعصب، ويرى أنها صفة سلبية وإيجابية في آن واحد، فهي سلبية إذا كان المقصود بها نصره الباطل وقيامه، وهي إيجابية إذا كان الغرض منها إقامة الحق ونصرتة، وهذا تنبيه إلى ترك العصبية والغضب المفضيين إلى الشر والعدوان على الناس والعدوان على

¹ الفصل الرابع والعشرون في أن الأمة إذا غلبت وصارت في ملك غيرها أسرع إليها الفناء، ص 163، 164.

القيم فتفسد الحياة وأخلاق الكثير من الناس بسببه، بمعنى أن تصرف الصفات التي نراها من وجهة نظرنا سلبية في سبل الخير لتكون إضافة للقيم الإيجابية.

يقول: "فلم يذم الغضب وهو يقصد نزعته من الإنسان فإنه لو زالت منه قوة الغضب لفقد منه الانتصار للحق وبطل الجهاد وإعلاء كلمة الله وإنما يذم الغضب للشيطان وللأغراض الذميمة فإذا كان الغضب لذلك كان مذموماً وإذا كان الغضب في الله والله كان ممدوحاً وهو من شمائله صلى الله عليه وسلم وكذا ذم الشهوات أيضاً ليس المراد إبطالها بالكلية فإن من بطلت شهوته كان نقصاً في حقه وإنما المراد تصریفها فيما أبيح له باشتماله على المصالح ليكون الإنسان عبداً متصرفاً طوعاً أوامر الإلهية وكذا العصبية حيث ذمها الشارع وقال: "لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ" (الممتحنة:3)، وإنما مراده حيث تكون العصبية على الباطل وأحواله كما كانت في الجاهلية وأن يكون لأحد فخر بها أو حق على أحد لأن ذلك مجال من أفعال العقلاء وغير نافع في الآخرة التي هي دار القرار فأما إذا كانت العصبية في الحق وإقامة أمر الله فأمر مطلوب ولو بطل لبطلت الشرائع إذ لا يتم قوامها إلا بالعصبية كما قلناه من قبل".¹

11- استغلال قوة الشباب قبل سطوة الضعف

ينبه ابن خلدون إلى المراحل العمرية في حياة الإنسان، فيقسمها إلى مرحلة القوة ثم مرحلة الضعف وفيها إشارة إلى ضرورة استغلال مرحلة الشباب لبناء حاضره ومستقبله، وهي مرحلة مهمة في البناء والتعمير لخصائص تميزها، وهي القوة والنشاط، وسرعة الإنجاز، ولنا خير مثال في السلف الصالح، وفي سنة رسول الله حيث كان يستثمر في الشباب أيما استثمار، فمنهم من جعله على رأس الجند، ومنهم من جعلهم أمراء، ومنهم من جعلهم دعاة، والمجتمع الذي يقضي شبابه فإنه يهيئهم للتأمر ضده أو شد الرحيل عنه وهو مجتمع غير

¹ الفصل الثامن والعشرون في انقلاب الخلافة إلى الملك، ص 224.

مستقر في كل الأحوال. يقول ابن خلدون: "كما أن للشخص الواحد من أشخاص المكونات عمراً محسوساً وتبين في المعقول والمنقول أن الأربعين للإنسان غاية في تزايد قواه ونموها وأنه إذا بلغ سن الأربعين وقفت الطبيعة عن أثر النشوء والنمو برهة ثم تأخذ بعد ذلك في الانحطاط.¹

12 - التنظيم الغذائي لقهر الإسراف والتبذير:

هذه القاعدة من الناحية الاقتصادية، تفيد الإنسان من الناحية البدنية أي على المستوى الشخصي من حيث دفع المضرة عن البدن نظير الاستهلاك الكثير والمفرط، كما تفيد من الناحية الاجتماعية من حيث المحافظة على النظام الاقتصادي بين الطبقة المترفة والطبقة الفقيرة حيث توفر الأولى عن طريق الانتظام الغذائي ما يمكن أن تتماسك به الطبقة الثانية، وقد ركز ابن خلدون على الجانب الصحي مستفيداً من علوم الطب وعلم التصوف.

يقول: " فإذا أخذ الإنسان نفسه باستعمال اللبن والبقول عوضاً عن الحنطة حتى صار له ديدناً فقد حصل له ذلك غذاء واستغنى به عن الحنطة والحبوب من غير شك وكذا من عود نفسه الصبر على الجوع والاستغناء عن الطعام كما ينقل عن أهل الرياضيات فإننا نسمع عنهم في ذلك أخباراً غريبة يكاد ينكرها من لا يعرفها والسبب في ذلك العادة فإن النفس إذا ألقت شيئاً صار من جبلتها وطبيعتها لأنها كثيرة التلون فإذا حصل لها اعتياد الجوع بالتدريج والرياضة فقد حصل ذلك عادةً طبيعية لها وما يتوهمه الأطباء من أن الجوع مهلك فليس على ما يتوهمونه إلا إذا حملت النفس عليه دفعة وقطع عنها الغذاء بالكلية فإنه حينئذ ينحسم المعاء ويناله المرض الذي يخشى معه الهلاك وأما إذا كان ذلك القدر تدريجاً ورياضةً بإقلال الغذاء شيئاً فشيئاً كما يفعله المتصوفة فهو بمعزل عن الهلاك وهذا التدريج ضروري حتى في الرجوع عن هذه الرياضة فإنه إذا رجع

¹ الفصل الثامن عشر في أن الحضارة غاية العمران ونهاية عمره وأنها مؤذنة بفساده، ص 411.

به إلى الغذاء الأول دفعةً خيف عليه الهلاك وإنما يرجع به كما بدأ في الرياضة بالتدريج ولقد شاهدنا من يصبر على الجوع أربعين يوماً وصلاً وأكثر...¹

13- الاقتداء بالنظام الكوني لتحقيق التنظيم الإنساني المثالي.

وهي قاعدة تحث على النظر في المخلوقات الحية والمادية، من كائنات وجماد وأفلاك ونسق التنظيم الذي تتواجد فيها حيث تتكامل بينها بصورة سلمية متعاونة ومتآخية، لا تحاول الخروج عن محيط النظام المهيئ لها، فتستقيم بذلك الدورة الطبيعية وفق ممتالية رياضية يكون الأول فيها هو سبباً لتواجد الثاني وبقائه ويكون الأخير فيها هو سبباً لبقاء الأول، وهذا ما يجب أن ينطبق في عالم الإنسان، فإنه باستغلال نظام تكوينه المادي والروحي يمكن أن يرقى إلى مرتبة أعلى سماها ابن خلدون في حالات "الملائكية" لأنه سيد الكون وهو الشاهد عليه بملكات تميزه عن سائر المخلوقات وهو بذلك يحافظ على نوعه بطريقة سلمية بعيدة عن الانحراف.

"و انتهى في تدريج التكوين إلى الإنسان صاحب الفكر والروية ترتفع إليه من عالم القدرة الذي اجتمع فيه الحس والإدراك ولم ينته إلى الروية والفكر بالفعل وكان ذلك أول أفق من الإنسان بعده وهذا غاية شهودنا ثم إنا نجد في العوالم على اختلافها آثاراً متنوعة ففي عالم الحس آثار من حركات الأفلاك والعناصر وفي عالم التكوين آثار من حركة النمو والإدراك تشهد كلها بأن لها مؤثراً مابيناً للأجسام. فهو روحاني ويتصل بالمكونات لوجود اتصال هذا العالم في وجودها ولذلك هو النفس المدركة والمحركة ولا بد فوقها من وجود آخر يعطيها قوى الإدراك والحركة ويتصل بها أيضاً ويكون ذاته إدراكاً صرفاً وتعقلاً محضاً وهو عالم الملائكة فوجب من ذلك أن يكون للنفس استعداد للانسلاخ

¹ المقدمة الخامسة في اختلاف أحوال العمران في الخصب والجوع وما ينشأ عن ذلك من الآثار في أبدان البشر وأخلاقهم، ص 100.

من البشرية إلى الملكية ليصير بالفعل من جنس الملائكة وقتاً من الأوقات في لمحة من اللمحات"¹.

14- ضرورة العطاء المستمر وتجنب الترف المفرط للهلاك

يلفت ابن خلدون فيما يتعلق بالعمران الحضري، الذي يتوفر على كل ضروريات الحياة وكمالياتها أنه مفسد للإنسان، فالترف الحاصل يجعل الإنسان يميل للكسل والخمول فتراجع فيه خصائص المروءة من شجاعة وسعي في شؤونه وشؤون الآخرين، ويتقاعس عن أداء واجباته، شيئاً فشيئاً، فيبدأ العمران بالتآكل والفساد وحتى السقوط مستقبلاً، هذه الإشارة أو اللفتة الطيبة من ابن خلدون تدعو الإنسان أن يكون على عطاء وعمل دائمين ويكون في خدمة بيئته وعلى تماس إيجابي مع محيطه، ويساعده في ذلك الالتزام الأخلاقي بما يجلب له المنافع ويدفع عنه المضار، ويرى ابن خلدون أن التطور الحاصل في الحضرة بما يوفره من أمن واستقرار وكل متطلبات الحياة إن لم يشرك كل أفرادها في تطوره والمحافظة عليه فإنه سائر إلى السقوط بفعل الطوارئ أو الازمات التي قد تفاجئه.

يقول: "و اعتبر به أن غاية العمران هي الحضارة والترف وأنه إذا بلغ غايته انقلب إلى الفساد وأخذ في الهرم كالأعمار الطبيعية للحيوانات. بل نقول إن الأخلاق الحاصلة من الحضارة والترف هي عين الفساد لأن الإنسان إنما هو إنسان باقتداره على جلب منفعه ودفع مضاره واستقامة خلقه للسعي في ذلك. والحضري لا يقدر على مباشرته حاجاته أما عجزاً لما حصل له من الدعة أو ترفاً لما حصل من المربي في النعيم والترف وكلا الأمرين ذميم. وكذلك لا يقدر على دفع المضار واستقامة خلقه للسعي في ذلك. والحضري بما قد فقد

¹ المقدمة السادسة في أصناف المدركين من البشر بالفطرة أو الرياضة ويتقدمه الكلام في الوحي والرؤيا، ص 106، 107.

من خلق الإنسان بالترف والنعيم في قهر التأديب والتعلم فهو بذلك عيال على الحماية التي تدافع عنه . ثم هو فاسد أيضاً غالباً بما فسدت منه العوائد وطاعتها في ما تلونت به النفس من مكانتها كما قرناه إلا في الأقل النادر. وإذا فسد الإنسان في قدرته على أخلاقه ودينه فقد فسدت إنسانيته وصار مسخاً على الحقيقة. وبهذا الاعتبار كان الذين يتقربون من جند السلطان إلى البداوة والخشونة أنفع من الذين يتربون على الحضارة وخلقها. موجودون في كل دولة. فقد تبين أن الحضارة هي سن الوقوف لعمر العالم في العمران والدولة"¹.

15- ضرورة السعي للكسب والعمل لتحصيل الحياة الكريمة

والعمل لكسب ما يحتاج إليه الإنسان من مال ورزق لحصول الحياة الكريمة مطلب شرعي وأساسي، وقد حث الله عز وجل عليه في آيات عديدة، كما حث عليه رسول الله صلى عليه وسلم في أحاديثه ولا يمكن تصور حضارة أو مجتمع من غير سعي أو عمل شريف، والحديث عن السعي إنما هو لفت الانتباه إلى أن الفقر والبطالة من صور المجتمعات المتخلفة وهي صور للإنسان المتقاعس الذي ينظر إلى ما في يد غيره ويتمنى لو كان ملكه، فالكثير من الناس لا تسعى وتقصر في تحصيل الرزق احتقاراً لبعض الأعمال أو ترفها عنها وتبرير ذلك بتقصير المسؤولين في توفير الوظيفة، والناظر في حال المجتمعات يرى من الوظائف الشاغرة ما يلائم طبيعة الإنسان، فثمة أراضي مهملة وثمة صنائع متروكة لأنها قد لا تدر الربح السريع بنظر الإنسان المتخلف.

يقول ابن خلدون عن ضرورة السعي في الكسب "إعلم أن الإنسان مفتقر بالطبع إلى ما يقوته ويمونة في حالاته وأطواره من لدن نشوءه إلى أشده إلى

¹ الفصل الثامن عشر في أن الحضارة غاية العمران ونهاية لعمره وأنها مؤذنة بفساده، ص 414.

كبره والله الغني وأنتم الفقراء والله سبحانه خلق جميع ما في العالم للإنسان وامتن به عليه في غير ما آية من كتابه فقال: "وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْهُ" (البجائية:13)، ويد الإنسان مبسوطة على العالم وما فيه بما جعل الله له من الاستخلاف، وأيدي البشر منتشرة فهي مشتركة في ذلك، وما حصل عليه يد هذا امتنع عن الآخر إلا بعوض، فالإنسان متى اقتدر على نفسه وتجاوز طور الضعف سعى في اقتناء المكسب لينفق ما آناه الله منها في تحصيل حاجاته وضروراته بدفع الأعواض عنها. قال الله تعالى: "فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ" (العنكبوت:17)، وقد يحصل له ذلك بغير سعي كالمطر المصلح للزراعة وأمثاله. إلا أنها إنما تكون معينة ولا بد من سعيه معها كما يأتي فتكون له".¹

وأوجه السعي عديدة وأماكن تحصيله متنوعة يقول: "و منها السعي في المعاش والاعتماد في تحصيله من وجوهه واكتساب أسبابه لما جعل الله من الافتقار إلى الغذاء في حياته وبقائه وهداه إلى التماسه وطلبه فإن الله تعالى "أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ حَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى" (طه:50) ومنهما العمران وهو التساكن والتنازل في مصر أو حلة للأنس بالعشير واقتضاء الحاجات لما في طباعهم من التعاون على المعاش كما نبينه ومن هذا العمران ما يكون بدوياً وهو الذي يكون في الضواحي وفي الجبال وفي الحلل المنتجة في القفار وأطراف الرمال ومنه ما يكون حضرياً وهو الذي بالأمصار والقرى والمدن والمدن للمدرة للاعتصام بها والتحصن بجدرانها وله في كل هذه الأحوال أمور تعرض من حيث الاجتماع عروضاً ذاتياً"²

¹ الفصل الأول في حقيقة الرزق والكسب وشرحهما وأن الكسب هو قيمة الأعمال البشرية، ص 421، 422.

² المقدمة الكتاب الأول في طبيعة العمران في الخليقة وما يعرض فيها من البدو والحضر والتغلب والكسب والمعاش والصنائع والعلوم ونحوها وما لذلك من العلل والأسباب، ص 45.

المحور الرابع: القيم المادية والمعنوية المرتبطة بالقواعد.

إن أهمية دراسة القيم لا تقف داخل نطاق الفكر الفلسفي وحده بل تتعداه، فالقيم من المفاهيم الجوهرية في جميع ميادين الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية وهي تمس العلاقات الإنسانية بكافة صورها، ذلك لأنها ضرورة اجتماعية، فهي تتغلغل في الأفراد في شكل اتجاهات، ودوافع، وتطلعات وتظهر في السلوك الظاهري الشعوري واللاشعوري، وفي المواقف التي تتطلب ارتباط هؤلاء الأفراد تعبر القيم عن نفسها في قوانين وبرامج التنظيم الاجتماعي والنظم الاجتماعية.¹

ويضع القرآن الكريم منظومة القيم ولأهميتها في إطار من القداسة، ويعتبرها الطاقة الكبرى لترقية الإنسان والمجتمع والعالم وضبط حركته على الأرض، والترقية هنا تشمل ضمير الفرد وضمير الجماعة أيضا كما تشمل أيضا دوافع العمل والحركة لبناء الذات وعمارة الأرض وتحسينها من الانحراف، وبهذا تتميز منظومة القيم الإسلامية عن غيرها من المنظومات القيمية البشرية، بالثبات، فالقيمة ثابتة بذاتها ومتحركة في إطار الفهم والتطبيق، ولا يمكن لأي مجتمع أن يسير للأمام من دون حصانة قيمية، ولعل الإصابات والتحويلات التي طرأت على منظومة القيم² هي من أسباب السقوط في الآفات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والفكرية.

إن تخلي الإنسان عن قيمه يفقده معنى وجوده في مجتمعه وفي الحياة، وأن ما تحض عليه الديانات السماوية هو أن يكون الفرد هو ذاته أينما كان وأن يجتهد في صنع القيم الإيجابية ويعمل على توكيدها، وعند فقدان هذه القيم

¹ فوزية دياب، القيم والعادات الاجتماعية، دار النهضة العربية، بيروت، 1980 ص 16.

² سعاد جبر سعيد، القيم العالمية وأثرها في السلوك الإنساني، جدارا للكتاب العالمي، الأردن، 2008، ص 31.

يكون قد فقد هويته الذاتية، إذ أن الحكم الأخلاقي واتخاذ القرار يجب أن يكونا متأصلين في قدرة الإنسان على التقييم ، وبمقدار ما يحمل المرء في نفسه وتكوينه من قوة وأصالة فإنه يتمكن من تحديد معالم الواقع الذي يعيشه والذي تنعكس فيه القيم، فمن واقعه هذا يتلقى المسببات الأساسية التي تتيح له نسج مقومات القيم الراسخة ، ومن خلال ذلك يستطيع أن يتعلم حدود مسؤوليته الأخلاقية والاجتماعية ، وبممارسة الفرد نشاطه فإنه يتسنى له أن يختار طريقة تحديد وتأکید ما يسعى إليه من أهداف تحكم وعيه الإدراكي، مما يؤهله في المآل من استبان السبل المفضية إلى كيفية بناء القيم الإيجابية وتعزيز مكانتها.¹ تدفع هذه القيم، الإنسان إلى تغيير واقعه وحاله ليتطلع إلى الكمال المنشود، فهو المخلوق الوحيد الذي يتميز عن غيره من الكائنات بالشعور الواعي والإدراك العاقل بما ينبغي أن يفعله وما ينبغي عليه فعله.²

ووقع اختياري على بعض من القيم التي جاءت في سياقات مختلفة ذكر فيها الإنسان، وقد وردت في فصول مختلفة وتكررت بشكل واضح، وقسمتها إلى قيم التحلي وهي القيم الإيجابية، وقيم التخلي وهي القيم السلبية

1- قيم التحلي

- الكسب:

وهي قيمة أساسية في العمل، وتتطلب هذه القيمة السعي الحثيث والجهد لتوفير متطلبات الحياة المادية والمعنوية الكمالية منها والضرورية، والكسب طرق وأنواع، فإما يكون باخذه من يد الغير وانتزاعه بالاقتدار عليه على قانون متعارف ويسمى مغرماً، أو يكون برمي الحيوانات من البر والبحر ويسمى اصطيداً، أو

¹المرجع السابق، ص 35.

²صلاح الدين بسيوني: القيم في الإسلام بين الذاتية والموضوعية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1990، ص 5.

بتسخير الحيوانات الداجنة واستخراج ما ينفع منها كاللبن والعسل والحريز، او
اختراف مهن معينة كالتجارة والخياطة والحياكة، والفلاحة وكلها اوجه طبيعية
للعيش¹.

يشير ابن خلدون إلى عوامل خارجية تؤثر في قيمة الكسب فتزيدها او تنقص
منها، وهي الجاه والتواضع والترفع، فصاحب الجاه وهو صاحب النفوذ والذي
يملك سلطة فعلية تؤهله لمساعدة من يريد ان يرضى عنهم، فإما ان يجلب لهم
منفعة تزيد في كسبهم او يدفع عنهم مضرة تزيد ايضا في كسبهم، ولا يحصل
ذلك إلا بالتملق والخضوع حتى تفتح قلوب اهل الجاه لمطالب اصحاب
المطامع والمطامح²، يقول ابن خلدون: " وإنما يدلله لمن تحت يديه فيكون بذله
بيد عالية وعزة فيحتاج طالبه ومبتغيه إلى خضوع وتملق كما يسأل أهل العز
والملوك وإلا فيتعذر حصوله. فلذلك قلنا إن الخضوع والتملق من أسباب
حصول هذا الجاه المحصل للسعادة والكسب وإن أكثر أهل الثروة والسعادة
بهذا التملق ولهذا نجد الكثير ممن يتخلق بالترفع والشمم لا يحصل لهم غرض
الجاه فيقتصرون في التكسب على أعمالهم ويصيرون إلى الفقر والخصاصة"³.

- التعليم:

قيمة مهمة جدا في تاثير الإنسان المتحضر، فهي عملية تصاحبه منذ
السنوات الأولى من طفولته وتستمر معه، وقد كتب الكثير من التربويين⁴ عنها

¹ الفصل الثاني، في وجوه المعاش وأصنافه ومذاهبه، ص 424.

² محمد فاروق النبهان، مرجع سابق، ص 231-232.

³ الفصل السادس، في أن السعادة والكسب إنما يحصل غالبا لاهل الخضوع والتملق وإن هذا
الخلق من اسباب السعادة، ص 433.

⁴ مكفارلند، علم النفس والتعليم، ترجمة عبد العلي الجسماني وآخرون، الدار العربية
للعلوم، بيروت، 1994، ص 281، ومحمد مزيان، قراءات في طرائق التدريس، جمعية
الإصلاح الاجتماعي والتربوي، باتنة، 1994، ص 20، علي أسعد وطفة، علي جاسم الشهاب،

مبين أهميتها للفرد والمجتمع، وطرائقها المتعددة والتي تساعد على إدارة العلاقة التربوية التعليمية بين الاطراف المساهمة في ذلك، حيث تتنوع بين الطرق الديموقراطية والمشاركة، والطرق الاستبدادية، ويشير ابن خلدون إلى العوائق التي تحول دون الفهم الجيد لما يتم تقديمه ابتداء من الإخفاق في اختيار مصادر التعليم، إلى الطرائق الضرورية للعملية التعليمية والعلاقات السائدة في الفصل التعليمي.

فيرى ابن خلدون انه لا بد من التركيز على المضاف او الجديد في مصادر التعليم، لان المصادر المتشابهة والمتعددة لا تضيف للمتعلم شيئاً ما عدا التكرار وصعوبة الاستعاب، ويمثل بذلك في التشابه الحاصل بين الشروحات الفقهية على الكتب المدونة في فقه مالك، وكذلك علم العربية وثال ذلك ما جمع حول كتاب سبويه، يقول: " ويمثل ذلك من شأن الفقه في المذهب المالكي بالكتب المدونة مثلاً وما كتب عليها من الشروحات الفقهية مثل كتاب ابن يونس واللمخي وابن بشير والتنبيهات والمقدمات والبيان والتحصيل على العتبية وكذلك كتاب ابن الحاجب وما كتب عليه. ثم إنه يحتاج إلى تمييز الطريقة القيروانية من القرطبية والبغدادية والمصرية وطرق المتأخرين عنهم والإحاطة بذلك كله وحينئذ يسلم له منصب الفتيا وهي كلها متكررة والمعنى واحد. والمتعلم مطالب باستحضار جميعها وتمييز ما بينها والعمر ينقضي في واحد منها. ولو اقتصر المعلمون بالمتعلمين على المسائل المذهبية فقط لكان الأمر دون ذلك بكثير وكان التعليم سهلاً ومأخذه قريباً ولكنه داء لا يرتفع لاستقرار العوائد عليه فصارت كالطبيعة التي لا يمكن نقلها ولا تحويلها"¹.

علم الاجتماع المدرسي، المؤسسة الجامعية، بيروت لبنان، 2004، ص 100، منير المرسي
سرحان، في اجتماعيات التربية، دار النهضة العربية، بيروت، 1981، ص 199.
¹ الفصل السابع والعشرون، في أن كثرة التأليف في العلوم عائقة عن التحصيل، ص 587.

كما يرى أن كثرة الاختصارات المؤلفة في العلوم تضر بالتعليم، حيث تعتمد هذه الاختصارات إلى الاضرار بالالفاظ ومنه الاخلال بالبلاغة والعسر على الفهم ومن ذلك ما قام به ابن مالك في العربية وابن الحاجب في الفقه والحنوجي في التعليم¹.

ويقترح ابن خلدون طرقا للاستفادة من تعليم العلوم، فيرى ضرورة تلقينها على التدريج، حيث تلقى المسائل من كل باب في العلم المراد تحصيله أولا ويقرب له في شرحها على سبيل الاجمال، مع مراعاة قوة عقل المتعلم واستعداده لقبول ما يرد عليه، ثم يرجع إلى موضوع العلم نفسه فيرفعه إلى التلقين ويستوفي الشرح والبيان ويذكر له الخلاف ثم يوضح كل مبهم وعويص، والطريقة في مجملها ثلاث تكرارات، او اقل بحسب قدرة المتعلم. وغن لم تراعى هذه الطرق فإن المتعلم سيكل عن الاستفادة منها وينحرف عن قبولها ويتمادى في هجرها.

وينصح ابن خلدون المعلم بضرورة عدم الاطالة في العلم او الفن الواحد وتطويل حصصه او جلساته فقد يكون سببا على النسيان وانقطاع مسائل الفن الواحد عن بعضها البعض، هذا بالاضافة على تجنب الخلط بين علمان فيشكل الامر على المتعلم باشغال ذهنه وانصرافه عن كل منها².

هذه القيمة تحصل عند الإنسان من غير استخدام القوة او العقاب، لان ذلك بنظر ابن خلدون "يذهب الباس عن المتعلم وأما إذا كانت الأحكام تأديبية وتعليمية وأخذت من عند الصبا أثرت في ذلك بعض الشيء لمرباه على

¹ الفصل الثامن والعشرون في أن كثرة الاختصارات المؤلفة في العلوم مخلة بالتعليم، ص588.

² الفصل التاسع والعشرون، في وجه الصواب في تعليم العلوم وطرق الافادة منها، ص 589، 590.

المخافة والانتقياد فلا يكون مدلاً ببأسه ولهذا نجد المتوحشين من العرب أهل البدو أشد بأساً ممن تأخذه الأحكام ونجد أيضاً الذين يعانون الأحكام وملكتها من لدن مرباهم في التأديب والتعليم في الصنائع والعلوم والديانات ينقص ذلك من بأسهم كثيراً ولا يكادون يدفعون عن أنفسهم عادية بوجه من الوجوه وهذا شأن طلبة العلم المتحليين للقراءة والأخذ عن المشايخ والأئمة الممارسين للتعليم والتأديب في مجالس الوقار والهيبة فيهم هذه الأحوال وذهابها بالمنعة والبأس. ولا تستنكر ذلك بما وقع في الصحابة من أخذهم بأحكام الدين والشرعية ولم ينقص ذلك من بأسهم بل كانوا أشد الناس بأساً لأن الشارع صلوات الله عليه لما أخذ المسلمون عنه دينهم كان وازعهم فيه من أنفسهم لما تلي عليهم من الترغيب والترهيب ولم يكن بتعليم صناعي ولا تأديب تعليمي إنما هي أحكام الذين وآدابه المتلقاة نقلاً يأخذون أنفسهم بها بما رسخ فيهم من عقائد الإيمان والتصديق فلم تنزل سورة بأسهم مستحكمة كما كانت ولم تخذلها أظفار التأديب والحكم قال عمر رضي الله عنه: " من لم يؤدبه الشرع لا أدبه الله " ¹ ، وعلى قدر جودة التعليم وملكة المعلم يكون حذق المتعلم في الصناعة وحصول ملكته ².

- التعاون:

من الحقائق المسلم بها ان الإنسان لا يستطيع ان يعيش بمفرده، فهو يحتاج إلى بني جنسه لتقوم حياته وتحقق الغاية من وجوده، والتعاون قيمة عملية هامة حث عليها الإسلام، فهي تهدف إلى حفظ المال والنفس والدين، وبها تتحقق الحياة الكريمة ، ومظاهر التعاون كثيرة وبها يتميز الإنسان الراقي ويسعى

¹ الفصل السادس في أن معاناة أهل الحضر للأحكام مفسدة للبأس فيهم ذاهبة بالمنعة منهم 139.

² الفصل السادس عشر في أن الصنائع لا بد لها من العلم ، ص 443.

قواعد صياغة الإنسان المتحضر عند إبن خلدون من خلال المقدمة.....د.رقية بوسنان

بها إلى تحقيق أهداف نبيلة، كقضاء حاجات اترابه، والسعي في توفير الضروري من الحياة.

يقول إبن خلدون: "فالواحد من البشر لا تقاوم قدرته قدرة واحد من الحيوانات العجم سيما المفترسة فهو عاجز عن مدافعتها وحده بالجملة ولا تفي قدرته أيضاً باستعمال الآلات المعدة لها فلا بد في ذلك كله من التعاون عليه بإبناء جنسه وما لم يكن هذا التعاون فلا يحصل له قوت ولا غذاءً ولا تتم حياته لما ركبه الله تعالى عليه من الحاجة إلى الغذاء في حياته ولا يحصل له أيضاً دفاع عن نفسه لفقدان السلاح فيكون فريسة للحيوانات ويعاجله الهلاك عن مدى حياته ويبطل نوع البشر وإذا كان التعاون حصل له القوت للغذاء والسلاح للمدافعة وتمت حكمة الله في بقاءه وحفظ نوعه فيذن هذا الاجتماع ضروري للنوع الإنساني"¹.

ويقول: "لأن النوع الإنساني لا يتم وجوده وبقاؤه إلا بالتعاون بين إبنائه على مصالحهم، لأنه قد تقرر أن الواحد منهم لا يتم وجوده وإنه وإن ندر ذلك في صورة مفروضة لا يصح بقاءه. ثم إن هذا التعاون لا يحصل إلا بالإكراه عليه لجهلهم في الأكثر بمصالح النوع ولما جعل لهم من الاختيار وأن أفعالهم إنما تصدر بالفكر والروية لا بالطبع"².

2- قيم التخلي

- الاستبداد:

وله أوجه، أحدها يقع عند عجز الدولة عن إدارة واحتواء اتباعها، فيظهر الاستبداد فيهم، والثاني يقع من حاشية الملك الذين تنسد لهم إدارة أمور الرعية،

1 الباب الأول من الكتاب الأول في العمران البشري على الجملة وفيه مقدمتان ص 46.

2 الفصل السادس في أن السعادة والكسب إنما يحصل غالباً لأهل الخضوع والتملق وأن هذا الخلق من أسباب السعادة ، ص 432.

قواعد صياغة الإنسان المتحضر عند ابن خلدون من خلال المقدمة.....د.رقية بوسنان

فيستبدون بهذا التكليف في إدارة حكم الدولة، والثالث، يقع في استبداد الملك على ولي العهد حيث يتم عزله عن الناس ليتخلق بأخلاق وليه فيكون نسخة منه.

يقول عن الوجه الاول" هو الذي من جهة المال والجباية، ويحصل العجز والانتقاض بوجود الخللين. وربما تنافس رؤساؤهم فتنزعوا وعجزوا عن مغالبة المجاورين والمنازعين ومدافعتهم، وربما اعتز أهل الثغور والأطراف بما يحسبون من ضعف الدولة وراءهم، فيصيرون إلى الاستغلال والاستبداد بما في أيديهم من العمالات، ويعجز صاحب الدولة عن حملهم على الجادة فيضيق نطاق الدولة عن كانت انتهت إليه في أولها"¹

ويقول عن الوجه الثاني:" وأن الحل والربط والأمر والنهي ومباشرة الأحوال الملوكية وتفقدتها من النظر في الجيش والمال والثغور إنما هو للوزير ويسلم له في ذلك إلى أن تستحكم له صبغة الرئاسة والاستبداد ويتحول الملك إليه ويؤثر به عشيرته وإبنائه من بعده"².

يقول في الوجه الثالث:" وذلك أن أهل الدولة وخواص الملك إذ نصبوا الإبناء من الأعقاب وحاولوا الاستبداد عليهم فأول ما يبدأ به ذلك المستبد أن يحجب عنة بطانة إبنه وخواص أوليائه يوهمه أن في مباشرتهم إياه خرق حجاب الهيبة وفساد قانون الأدب ليقطع بذلك لقاء الغير ويعوده ملابسة أخلاقه هو حتى لا يتبدل به سواه إلى أن يستحكم الاستيلاء عليه فيكون هذا الحجاب من دواعيه وهذا الحجاب لا يقع في الغالب إلا أواخر الدولة كما قدمناه في الحجر ويكون دليلا على هرم الدولة ونفاد قوتها وهو مما يخشاه أهل الدول على

¹ الفصل السابع وأربعين في كيفية طروق الخلل للدولة، ص 326، 327.

² الفصل الحادي والعشرون، فيما يعرض في الدول من حجر السلطان والاستبداد عليه، ص 205.

أنفسهم لأن القائمين بالدولة يحاولون على ذلك بطباعهم عند هرم الدولة وذهاب الاستبداد من أعقاب ملوكهم لما ركب في النفوس من محبة الاستبداد بالملك وخصوصا مع الترشيح لذلك وحصول دواعيه ومبادئه¹.

إن الاستبداد يعوق الحريات الفردية والجماعية، في تطوير البنى المختلفة للمجتمعات والحضارات، وهو يقتل الإبداع والإنتاج، فيحول دون سير عجلة النمو، وهذا ما نلاحظه في مختلف المؤسسات حيث تسيطر القلة في التسيير وعن طريق الاستبداد تعيق عملية الحركة والفكر المنتجين، لتحفظ بالأفكار التقليدية التي عافها الزمن.

- الظلم: أفرد له ابن خلدون فصلا بعنوان "أن الظلم مؤذن بخراب العمران" وذكر له انواعا، ومنها الاعتداء على الناس في أموالهم مما يضعف الكسب والسعي في ذلك، وهما أساس ازدهار العمران، وبضعفهما وذهابهما يفسد العمران من حيث كساد أسواقه، والاقلال من ساكنه واختلال الدولة والسلطان، ويورد ابن خلدون للتمثيل على ذلك ما حكاه المسعودي في أخبار الفرس في إنكار ما كان عليه الملك من الظلم والغفلة².

ويعرض ابن خلدون لصور الظلم والتسلط على أموال الناس، كاشتراء ما بين أيديهم بأبخس الأثمان ثم فرض البضائع عليهم بأرفع الأثمان على وجه الغصب والاكراه، ويكون ذلك في جل السلع مما يؤدي على كسادها وتعطيل الاسواق ويبطل معاش الرعايا ويفسد عمران المدينة ويتطرق عليها الخلل³.

¹ الفصل الرابع واربعون، في أن الحجاب كيف يقع في الدول وفي أنه يعظم عند الهرم، ص322.

² الفصل الثالث والاربعون، في ان الظلم مؤذن بخراب العمران، 316، 317.

³ المقدمة، ص 320.

يقترح ابن خلدون الرجوع إلى الحل الشرعي كعلاج للظلم في المعاملات فيقول: "ومن أجل هذه المفاسد حظر الشرع ذلك كله وشرع المكايسة في البيع والشراء وحظر أكل أموال الناس بالباطل سدا لأبواب المفاسد المفضية إلى انتقاض العمران بالهرج أو بطلان المعاش واعلم أن الداعي لذلك كله إنما هو حاجة الدولة والسلطان إلى الإكثار من المال بما يعرض لهم من الترف في الأحوال فتكثر نفقاتهم ويعظم الخرج ولا يفي به الدخل على القوانين المعتادة يستحدثون ألقاباً ووجوهاً يوسعون بها الجباية ليفي لهم الدخل بالخرج ثم لا يزال الترف يزيد والخرج بسببه يكثر والحاجة إلى أموال الناس تشتد ونطاق الدولة بذلك يزيد إلى أن تمحي دائرتها ويذهب برسمها ويغلبها طالبها"¹

ويقع الظلم أيضاً من البشر أنفسهم، إذ يستعدي بعضهم بعضاً ولا يدفع ذلك الظلم والعدوان إلا الدولة أو الحكام، أو العلاقات القوية التي تجمع الناس في مجتمعاتهم والتي هي أشبه بالسياج والاسوار التي تحيط بالمدن أو القرى، كما يدفع الظلم الفضائل والاخلاق التي يتحلى بها الإنسان أو ما يسمى بالوازع الاخلاقي أو العفة².

المحور الرابع: الإسناد المعرفي لابن خلدون في تناوله للإنسان:

المقصود بالإسناد المعرفي، مختلف المعارف التي استعان بها ابن خلدون في تأليف المقدمة، وهي معارف عديدة متنوعة بحسب الأبواب والفصول التي وردت فيها، وقد عرضنا بعضها بما يتماشى وعنوان البحث. فإبن خلدون يستعين بالقرن الكريم والسنة النبوية في معرض حديثه عن الإنسان وما يتعلق به من أحوال وخصائص، كما يستعين بمختلف الكتب المؤلفة في مجالات شتى، ويجعل من الرحلات التي قام بها في مشرق الارض ومغربها ولقاءاته المتعددة

¹ المقدمة، ص 321.

² الفصل السابع، في ان سكنى البدو لا تكون إلا للقبائل أهل العصية، ص 140، 141.

مع أهل البلاد حكاما كانوا او علماء مرجعا أساسيا للكتابة. وعليه جاءت المقدمة ثرية من حيث المادة وكم المعلومات التي يستعين بها الباحثون المعاصرون في تقديم مسائل وأبحاث هامة متخصصة.

1- النص القرآني:

يستشهد ابن خلدون بآي القرآن الكريم، في سياقات عدة، ومنها خلق الإنسان ومنها آداب الحاكم في التعامل مع الرعية، وأهمية الموالة والتلاحم لتحقيق الوفاق وتجنب الافتراق، وضرورة التخلي عن الرذائل والمذمومات للحفاظ على العمران ومظاهر تحضره.

يذكر في معرض حديثه عن خلق الإنسان وإتقان الخلق بالآية: "الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى" (طه: 50) ، ويستشهد في الحكم وآداب التعامل مع الأفراد، ومخالفة هذه الآداب بالآية "إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ، وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ" (ابراهيم: 19، 20)، ويسوق في سنة التدافع ووجوب وجود قوى لتسيير شؤون الناس والقيام عليها الآية: " وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ" (البقرة: من الآية 251) ، ويورد في وعيد الله بإهلاك المفسدين من الحكام والملوك الذين يرتكبون السوء والمحرمات ويظلمون الناس واستبدالهم بآخرين الآية: "وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا" (الإسراء: 16) ، ويورد أخرى في السياق نفسه "وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ" (الرعد: 11) ويستدل في حديثه عن ذم الملك وتحذيرهم من ظلم الناس ونبد الفرقة والخلاف والجنوح عن الطريق والتذكير بان الدنيا مطية للآخرة بقوله تعالى: "إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ" (الحجرات: 13)

ويوضح عند ذكر الإنسان وضعفه بالرغم من القوى الادراكية والمادية التي يتمتع بها، أنه يبقى مفتقرا لله عزوجل في حالاته وأطواره من لدن نشوءه

إلى أشده إلى كبره "فيورد الآية: "وَاللَّهُ الْعَزِيزُ وَأَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ" (محمد:38)، ويذكر في معرض حديثه عن النعم التي خلقها الله للإنسان وسخرها له الآية: "وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ" (الجن:13)، ويستشهد أيضا "فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ" (العنكبوت: 17) عند الحديث عن السعي والذي يكون بأقدار الله تعالى وإلهامه. وفي معنى المفاضلة بين البشر في الجاه والسلطان والتكامل يذكر قوله تعالى: "وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سُخْرِيًّا وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ" (الزخرف:32)، وفي حث الإنسان على التوجه الى الله وتوحيده لأنه الأعلم بمصالح العباد في الدنيا والآخرة يورد الآية "وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا" (الاسراء:85).

2- النص السني: يستدل ابن خلدون في معرض حديثه عن الإنسان وأحواله وصفاته المتعلقة به بنصوص السنة النبوية، وهي كثيرة في المقدمة سقت البعض منها على سبيل التمثيل لا الحصر.

يورد ابن خلدون في حديثه عن نسب الإنسان الذي ينتهي إلى أربعة آباء على حد علمه، قوله صلى الله عليه وسلم "الكريم، ابن الكريم، ابن الكريم، يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام"¹، ويرى ابن خلدون أن الإنسان لا يستطيع أن يثبت نسبه إلا الأولون والظاهر أن ما ذهب إليه ابن خلدون إنما هو تأكيد على أن الإنسان ليس بنسبه إنما بأخلاقه وما يقدمه من عمل.

ويذكر في حديثه عن خصال الملك أو الحكم أنه يجب أن يتحلى بالرفق الذي يتحجب به للرعية أو الجماهير ما قاله صلى الله عليه وسلم "سيروا

¹ الراوي: عبدالله بن عمر المحدث: البخاري، المصدر: صحيح البخاري، الصفحة أو الرقم: 3382، درجة الحديث، صحيح

على سيرٍ أضعفكم"¹، ويرى أنه يجب استخدام هذه الخصلة بذكاء لأنها لا تصلح في كل الأحوال، فالناس مختلفون في طباعهم وصفاتهم.

ويرى ابن خلدون أن تصرف العصبية التي هي أساس الحكم في موضعها الإيجابي، فتصرف في الحق لا غير وإن صرفت عكس ذلك فهي مذمومة ومنبوذة، وهذا وفقا لقوله صلى الله عليه وسلم: "إنَّ الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية ، وفخرها بالآباء : مؤمنٌ تقِيّ ، أو فاجرٌ شقيّ ، أنتم بنو آدم، وآدمٌ من ترابٍ".²

يتصور ابن خلدون أن عمل الإنسان يجب أن يكون محدد الوجهة ، وأن يصرف في أغراض الحق جهد الاستطاعة حتى تصير المقاصد كلها حقاً لقوله صلى الله عليه وسلم "فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها ، أو امرأة يتزوجها ، فهجرته إلى ما هاجر إليه".³

يشير ابن خلدون في معرض حديثه عن الرزق، أنه ما عادت منفعة على العبد وتحققت به مصالحه وحاجاته، يقول صلى الله عليه وسلم: "وإنَّما مألُك ما أكلت فأفنيته، أو لبست فأبليت، أو صدقت فأمضيت".⁴ وفي باب

¹ الراوي: - المحدث: السخاوي ، المصدر، المقاصد الحسنة ،الصفحة أو الرقم: 294، درجة الحديث، لا أعرفه بهذا اللفظ.

² الراوي: أبو هريرة المحدث: ابن تيمية ،المصدر: اقتضاء الصراط المستقيم، الصفحة أو الرقم: 247/1، درجة الحديث، صحيح.

³ الراوي: عمر بن الخطاب المحدث، البخاري، المصدر، صحيح البخاري، الصفحة أو الرقم: 2529، درجة الحديث، صحيح.

⁴ الراوي: عبدالله بن الشخير المحدث: الألباني، المصدر: صحيح النسائي، الصفحة أو الرقم: 3615 درجة الحديث، صحيح.

قواعد صياغة الإنسان المتحضر عند ابن خلدون من خلال المقدمة.....د.رقية بوسنان

واسع يتحدث ابن خلدون بدقة متناهية عن طرق تحصيل الرزق وأسباب تحصيله.

يتحدث ابن خلدون عن صناعة الطب، باعتبارها صناعة ضرورية تعمل على حفظ الأبدان، ويرى ان اصل الداء هو في طبيعة الأغذية وان بيته هو المعدة، ويستدل بالحديث، "المعدة بيتُ الداء والحمية رأسُ الدواء"¹ ويرى في ان العلاج هو الحمية أي النسبة من الجوع، أي التقليل من الطعام.

أشير أنه وبعد تخريج الأحاديث المذكورة، ان ابن خلدون يعتمد على ما صح من الروايات في أحيان كثيرة، ومع هذه فهو يعتمد أيضا الغريب من الروايات أو ما لم يرو عن الرسول صلى الله عليه وسلم، وهذا مما يقلل من أهمية بعض السياقات التي يعتني فيها ابن خلدون بالنصوص السنية، وكان بالامكان الاستغناء عن ذلك والاستعانة بالعلوم التي اهتم بها ومنا الطب والهندسة والكيمياء والفلك...

3- التراث المعرفي:

يشير ابن خلدون في معرض حديثه عن الإنسان وقواعد صياغة تحضره والقيم المتعلقة بها، إلى عدة كتب تتنوع بتنوع المجال العلمي التي تنتمي إليه ومنها، كتاب جالينوس، "منافع الأعضاء" في مجال الطب، وكتاب محمد بن أبي زيد "أحكام المعلمين والمتعلمين" في طرق التعليم، وكتاب "الأغاني في أخبار عزيز الغواني" في الحديث عن العرب ونسبهم وملكاتهم اللغوية.

¹ الراوي: - المحدث: الزركشي (البدري)، المصدر: اللآلئ المنشورة، الصفحة أو الرقم: 145، درجة الحديث، صحيح.: لا أصل له عن النبي صلى الله عليه وسلم

و كتاب "التكملة" لابن الأبار¹ عند التعريف بإبن فروخ الفيرواني القاسي الأندلسي من أصحاب مالك رضي الله عنه.

ومنها كتب ألّفت في الورع ومحاسبة النفس ككتاب "الرسالة" للقشيري² وكتاب "عوارف المعارف" للسهرودي³، ومنها كتاب الإحياء للغزالي الذي دون فيه أحكام الورع والاقتداء ثم بين آداب القوم وسنتهم وشرح اصطلاحاتهم في عباراتهم وصار علم التصوف في الملة علما مدونا بعد أن كانت الطريقة عبادة فقط.

ومن أحسن التأليف في الهندسة، كتاب المجسطي⁴ وقد اختصره الأئمة من حكماء الإسلام كما فعله إبن سينا وأدرجه في تعاليم الشفاء. ولخصه إبن

¹ أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر بن عبد الله بن عبد الرحمن القضاعي البلسني المعروف بابن الأبار (1199 - 1260 م، 595 هـ - 658 هـ)، مؤرخ وشاعر أندلسي ولد ببلنسية بالأندلس، أشهر مؤلفاته، التكملة لكتاب الصلة، القاموس الإسلامي، أحمد عطية الله - المجلد الأول، ص6. نشر مكتبة النهضة المصرية

² عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة أبو القاسم القشيري إمام الصوفية، وصاحب الرسالة القشيرية في علم التصوف، ومن كبار العلماء في الفقه والتفسير والحديث والأصول والأدب والشعر، (376 هـ - 465 هـ)، الملقب بـ "زين الإسلام".

³ شهاب الدين أبو حفص عمر السهروردي البغدادي، أحد علماء أهل السنة والجماعة ومن أعلام التصوف السني في القرن السابع الهجري، ومؤسس الطريقة السهروردية الصوفية، صاحب كتاب "عوارف المعارف". وصفه الذهبي بـ «الشيخ الإمام العالم القدوة الزاهد العارف المحدث شيخ الإسلام أوحده الصوفية»، الذهبي سير اعلام النبلاء، ج 22، ص 377.

⁴ هو كتاب في الفلك والرياضيات وألفه العالم الإغريقي بطليموس عام 148 م في الإسكندرية ويعتقد أنه أقدم كتاب معروف في الفلك. ترجمه للعربية حنين بن إسحاق ومن الترجمة العربية تم ترجمة الكتاب إلى اللغة اللاتينية ثم إلى بقية اللغات الأوروبية لذا فإن اسم الكتاب العربي هو المستخدم في التراجم حيث يسمى الكتاب (Almagest) من كلمة

رشد الأندلس وابن السمع¹ وابن أبي الصلت² في كتاب الانتصار. وابن الفرغاني³. هيئة ملخصة قربها وحذف براهينها الهندسية، وكتب أفضل الدين الخونجي⁴ على كتبه معتمد المشاركة لهذا العهد. وله في هذه الصناعة كتاب كشف الأسرار وهو طويل واختصر فيها مختصر الموجز وهو حسن في التعليم.

4- الرحلة وأدبيات الملاحظة:

يستعين ابن خلدون في حديثه عن الإنسان بأدب الرحلة فقد كان كثير الترحال، من تونس إلى الأندلس، إلى الجزائر فمصر، فحل بها منظرا ومتقلدا لمناصب إدارية وتعليمية، وكل هذه البلاد تتعدد فيها مظاهر الجغرافيا والأجناس البشرية، ومظاهر الحياة السياسية والعلمية والثقافية وقد استفاد ابن خلدون من

المجسطي العربية وليس الاسم اليوناني الأصلي. تم تأليف العديد من الكتب العربية والأوربية في دعم أو نقد وتصحيح المجسطي.

¹ أبو القاسم أصبغ بن محمد بن السمع المهندس الغرناطي. كان بالأندلس في زمن الحكم، وكان محققاً لعلم الهندسة والعدد، متقدماً في علم الهيئة، وكانت له مع ذلك عناية بالطب وله تأليف حسان، منها كتاب المدخل إلى الهندسة في تفسير كتاب إقليدس، ومنها كتاب ثمار العدد المعروف بالمعاملات، وكتاب طبيعة العدد، وكتابه الكبير في الهندسة الذي تقصى فيه أجزاءها من الخط المستقيم والمتقوس والمنحني وغير ذلك، توفي بغرناطة سنة ٤٢٦ هجري. أعلام المهندسين في الإسلام، أحمد تيمور باشا، كلمات عربية للترجمة والنشر، جمهورية مصر العربية - القاهرة، 2011، ص 22.

² أمية بن عبد العزيز بن أبي الصلت وكنيته أبو الصلت، وكان عالماً في الفلك والرياضيات والموسيقى، ولد في بلدة دانية وهي قسبة الناحية الشمالية الشرقية من كورة القفت، شرقي الأندلس عام 460 هـ / 1067 م

³ وهو أبو العباس أحمد بن محمد بن كثير الفرغاني. عالم رياضياتي وفلكي مسلم، توفي بعد سنة 247 هـ/ 861 م، وولد في مدينة فرغانة في أوزبكستان اليوم.

⁴ أفضل الدين الخونجي (590 - 646 هـ / 1194 - 1248 م) هو عالم بالحكمة والمنطق، فارسي الأصل. الزركلي، الأعلام، ج 7، ص 122،

رحلاته كما يوضح ذلك في مقدمته في دراسة علم السياسة، والجغرافيان والعمران، والصناعات، والعلوم المختلفة.

يستخدم إن خلدون عادة مفردة أنظر بصيغة الأمر ليؤكد على ضرورة استخدام الملاحظة الدقيقة أو العلمية، التي تساعد على إعمال الفكر في خصائص الإنسان المتعددة ويستعين في ذلك بعالم الطبيعة التي تحوي مكونات جامدة ومتحركة، فتارة يقرن تكوين الإنسان بعالم النبات، وتارة بعالم الحيوان لتقريب الابعاد المختلفة المكونة له وفاعليتها داخل العمران.

خاتمة:

لا يسعني في خاتمة هذا البحث إلا أن أؤكد على أن المقدمة مكسب علمي ثري بالمعارف المختلفة التي تساعد على تحليل الكثير من الإشكالات العصرية، ومنها مشكلة الإنسان باعتباره محور التغيير والتطوير، وأن تراجع هذا الإنسان عن دوره يحدث خللا في البنى المختلفة وهو الأمر الذي نلاحظه في كل المجتمعات حيث تعاني إما من طغيان المادة وغياب الأخلاق، (حال المجتمعات الغربية)، أو تعاني من غياب المادة وفقدان الأخلاق، (حال المجتمعات العربية)، وليس الكلام على الإطلاق لكن يكاد يكون كذلك، فالعنف والجريمة والظلم والاستبداد والقتل المسيس ديدها وهي مظاهر استشرت وصارت لغة الحياة اليومية.

ولللخروج من أزمة إخفاق الإنسان حاكما ومحكوما، فردا وجماعة، متعلما وجاهلا، غنيا وفقيرا، يطرح ابن خلدون الرؤية التكاملية لهذا الإنسان فيعتبره خليفة في الأرض وهو بموجب هذه الخلافة يشترط أن يتحلى بمجموعة خصائص تؤهله للبناء السليم وفق السنن الإلهية، كما يضع لذلك مجموعة قواعد تأسس لمبادئ أخلاقية وسلوكية يحقق من خلالها الإنسان مفهوم الخلافة، فيركز بشكل واضح على الإنسان الحاكم باعتباره الأساس في دائرة

التغيير، فهو بموجب المسؤولية المسندة إليه يضع القوانين المنظمة للمجتمع، وهو الذي يسهر على تطبيق العدل ونشر ثقافة العمل والحرص على الأمن والاستقرار تنسده في ذلك السلطات التي يقوم بتعيينها، ويؤكد ابن خلدون أنه متى انتفت شروط القيادة الرشيدة، ذات المرجعية الإسلامية، خرب المجتمع وانهار.

ويركز ابن خلدون على الإنسان الفرد وهو الخلية الأصغر، فيضع قواعد تبنى عليها أخلاقياته وسلوكاته، منها ما يتعلق بالجانب الروحي ومنها ما يتعلق بالجانب المادي، فيرى في تعليمه قاعدة قيمة في آن واحد، باعتباره أساس تربيته وتوجيهه وتهيئته للمستقبل فيشير بذلك إلى مجموعة شروط يراها ضرورية في عملية التعليم ويركز على طرقه ومخرجاته، ويرى في ضرورة التعاون أساس الاستمرار وتوفير ضرورات الحياة، ويرى من الناحية الاقتصادية أنه في الابتعاد عن عادات الاستهلاك المفرط والترف المفرط ما يهلك ذاته ومن حوله، ويؤكد ابن خلدون من خلال السياق الأخلاقي أن الابتعاد عن نزعة الأنانية والفردانية والمصلحة الطاغية ما يهيء لبناء حضاري متميز.

ينطلق ابن خلدون من عدة أصول مرجعية للتأكيد على قواعد صياغة الإنسان المتحضر والقيم المتعلقة بها، منها القرآن الكريم والسنة النبوية، والتراث المعرفي والعلوم المختلفة وأدب الرحلة والتجربة الذاتية التي عاشها في عصر مليء بالمطبات والمشاكل المختلفة.